الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique Et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة آكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

Ministère De L'enseignement Supérieur
Et De La Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj
-Bouira-
Faculté des Langues et de Littérs Arabe

البعد الاجتماعي في مقامات بديع الزمان الهمذاني

مذكرة تخرج لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

تخصص: نقد ومناهج

إعداد الطلبات:

- بوفركاس خديجة
- دلهوم سعاد
- مسعودي سارة

إشراف الأستاذ:

العوفي بوعلام

السنة الجامعية: 2019/2018

شكر وتقدير

الشكر أولا لله تعالى الذي أمدنا بالصّبر والقوة لانجاز هذا العمل وانطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾

نتوجّه بالشكر إلى أستاذتنا الكرام وإلى كل من علمنا حرفا كما نتوجّه بالشكر الجزيل إلى كل من أعاننا على هذا البحث من بعيد وقريب ولو بكلمة.

شكرا لكم وجزاكم الله خيرًا

إهداء

أهدي امتناني وسلامي وإلى كل من ساهم معي في إعداد هذا العمل المتواضع قريبا كان أم بعيدا .

إلى من خلق في نفسي روح التّحدي وغرس في قلبي حب العلم والصبر والوصول إلى الهدف والنّجاح والدي العزيز حفظه الله .

إلى رفيقة دربي حبيبتي وصديقتي وبيت أسراري وأحلامي أمي الغالية

إلى أختي وأخي رمز المحبة والقوة

إلى كل الأهل وكل براعم الأسرة الكريمة

إلى جميع الزملاء والزميلات وبالأخص صديقتي وأختي في الله صارة

إلى أستاذي المشرف الذي أشكر مجهوداته معنا "العوفي بوعلام"

خديجة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى كل من جدّ وكدّ في تربيتي وتعليمي

أبي الغالي

إلى نبع الحنان وسر الأمان أمي رعاها الله

إلى زوجي أمين وعائلته المحترمة

إلى أخي وإخوتي رمز الصداقة والمساعدة

إلى براهم بيتنا حفظهم الله

إلى زميلاتي وزملائي الذين قضيت معهم أجمل اللحظات وأخص بالذكر

ورفيقة دربي هدى

إلى الأستاذ المشرف "العوفي بوعلام"

سارة

إهداء

أحمد الله عزّ وجل على منه عونه لإتمام هذه المذكرة إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله إلى من كان يدفعني نحو الأمام لنيل المبتغى أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره وإلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان إلى التي رعتني حق الرعاية وكانت سندي في الشدائد وكانت دعواتها بالتوفيق تبتعني خطوة خطوة في دراستي إلى من ارتحت لكما تذكرت ابتسامتها أمي أعزّ ملاك على القلب والعين جزاها الله عني خير الجزاء إليهما أهدي العمل المتواضع لكلي أدخل السعادة في قلبهما إلى إخوتي وأخي الذين تقاسموا معي عبء الحياة كما أهدي ثمرة جهدي للأستاذي الكريم العوفي بوعلام الذي كلما دب اليأس في نفسي زرع فيّ الأمل للسير إلى الأمام وإلى كل الأساتذة القسم الأدب العربي وأهدي هذا أيضا إلى عائلتي الكريمة وصديقاتي

وشكرا

سعاد

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في هذا البحث سنتناول بالدراسة فنّا أدبيًا ذاع صيته في حقبة مهمة من تاريخ أدبنا العربي وهو "فن المقامات"، والقامة هي فن من فنون النثر العربي، ظهر في القرن الرابع الهجري، وهي تشبه إلى حد ما القصة القصيرة لكن ليس فيها من القصة إلاّ ظاهرها فقط، أمّا هي في حقيقتها فحيلة، ويعتبر البديع هو الرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي، فمنذ أن أملى الهمذاني مقاماته وذاعت بين الناس واستقبلوها بالاستحسان والإعجاب وأصبح لها منزلة تضاهي منزلة الشعر، ولاسيما عند الخلفاء والوزراء، تسابق الأدباء في النسج على منوالها إظهارًا للقدرة والبراعة اللغوية والفنية، لذلك لم نجد عصرًا من عصور الأدب مثل عصر البديع وحتى عصرنا الحالي يخلو من المقامات.

فالمقامة لها دور بارز في التعبير عن قضايا الشعب وما يعانيه من عادات قبيحة وصفات سيئة ومذمومة مثل: البخل والغرور والجبن وغيرها.

وقد نرى في بعضها أنّها تزيح عن النفس الهموم، لما ترسمه من بسمة في الشفاه، فهي تنتقل بالقارئ ما بين الجدّ والهزل وبذلك تتركه بعيدًا عن الهم والحزن.

وتمتاز المقامة بأسلوبها السردي على شكل حكاية، ولكن هذا الشكل له لغة خاصة به، لغة فصيحة يغلب عليها السّجع، حيث يظهر فيها الأديب براعة لغوية

وأدبية، وتعتمد على بطل وراوي غير محوريين، وغير موجودين على أرض الواقع لأنّ الهدف منها وغايتها ليس البطل أو الحدث، إنّما هدفها تدريس وتعليم اللغة والبيان والتدرّب على الأسلوب الجميل في الكتابة.

ولقد حاولنا في هذا البحث اختيار أهم مقامات بديع الزمان الهمذاني ودراستها، ومن هنا نطرح عدّة تساؤلات.

ما طبيعة الحياة التي كان يعيش فيها بديع الزمان الهمذاني؟ وماذا نعني بفن المقامة وما موضوعها؟ وما الأسلوب الذي اعتمده في مقاماته؟ وفيم تكمن تجليات البعد الاجتماعي في مقاماته؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا في بحثنا على مصادر ومراجع متنوعة، أمّا هيكل البحث فيتكون من مدخل وفصلين وخاتمة.

ففي المدخل، تحدثنا عن الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في القرن الرابع وهو العصر الذي عاش فيه الهمذاني.

أمّا الفصل الأول: فأبرزنا فيه مفهوم المقامة، وعدد المقامات وموضوعها وأسلوب المقامة.

بينما تنولنا في الفصل الثاني: تجليات البعد الاجتماعي في مقامات الهمذاني.

وخصصنا الخاتمة لأهم النتائج التي توصلنا إليها وأرفقنا بحثنا بملحق استعرضنا فيه أهم مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الصميرية، المقامة المجاعية، المقامة

البغدادية والمقامة الخمرية.

ولقد واجهتنا صعوبات من بينها قلّة المصادر والمراجع حول الموضوع وختاما نحمد الله الذي وفقنا في مسعانا العلمي.

مدخل

1- الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري.

2- الحياة الاجتماعية في العصر العباسي القرن الرابع الهجري

3- الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري

1- بديع الزمان الهمذاني (358هـ-398هـ)

هو أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني، علم لا ينكر في تاريخ أدبنا العربي[1]، ينتمي إلى أسرة عربية استوطنت همذان كما يظهر من قوله في إحدى رسائله: « ... إنّي عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد ومضر المحتد...»[2].

ويبدو أنّ بديع لم يكن محبا لهمذان ولم ترق له الإقامة بها، ويظهر ذلك في قوله في رسالة إلى أستاذه "ابن فارس": « واثنتان – أيده الله- قلّما تجتمعان، الخراسانية والإنسانية، وإنّي وإن لم أكن خراساني الطينة، فإني خراساني المدينة، والمولد من حيث يوجد، لا من حيث يولد، والإنسان من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، فإذا إنضاف إلى خرسان ولادة همذان، ارتفع القلم، وسقط التكليف والجرح جبار، والجاني حمار ولا جنّة ولا نار فليحتمي الشيخ على هناتي، أليس صاحبنا يقول:

لاَ تَلُمْنِـــي عَلَـــىَ رَكَاكَـــةِ عَقْلِـــي *** أَنْ تَيَقَّنْـــتَ أَنِّـــي هَمَـــذَانِيٌّ[3].

---

[1]- شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، 608-681، حققه الدكتور إحسان عباس، دار بيروت، ص 127.

[2]- يظهر بعض الكتاب المحدثين أنّه فارسي الأصل ومن ذلك قول جورج غريب والبديع رغم أصله كذا الفارسي يؤثر العرب على العجم ويطعن على الشعوبية وهو ذو عقيدة دينية صحيحة ومن المتشبعين بالعلويين، العصري العباسي.

[3]- رسائل البديع 253، ويتيمة الدهر للثعالبي، 271/4 التحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1392، 1973، ص 272.

ويعد بديع الزمان الهمذاني صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره واعترف في خطبته بفضله.

وهو أحد الفضلاء الفصحاء، وله الرسائل البديعية والنظم المليح فمن رسائله: « الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه، وإذا سَكَنَ متنه، تحرّك نتنه، وكذلك الضيف يسمح لقاؤه، وإذا ثواؤه، ويثقل ظله، إذا انتهى محلّه والسلام»[1].

ومن رسائله: « حَضْرَتُه التي هي كعبة المحتاج، لا كعبة الحُجاج، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم، ومنى الضيف ولا منى الخيف، وقبلة الصلاة، ولا قبلة الصلاة»[2].

وله من تعزية: « الموت خطب قد عظم حتى هان، ومسٌ قد خشن حتى لان، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها، وجَنَت حتى صار أصغر ذنوبها، فلتنظر يمنه، هل ترى إلاّ محنة؟ ثم أنظر يسرة، هل ترى إلاّ حسرة؟»[3].

ومن شعره في جملة قصيدة طويلة:

وَكَـانَ يُحْكِيـكَ صَـوبٌ الغَيْـثِ مُنْسَـكِبًا *** لَـوْ كَـانَ طَلْـقُ المُحَيَّـا يَمْطُـرُ الـذَّهَبَا.

وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخَفْ، وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ *** وَاللَّيْثُ لَـوْ لَـمْ يَصْـدُرْ وَالبَّحْـرُ لَـوْ عَـذَبَا.

ومن شعرخ في ذم همذان ثم وجدتهما لأبي العلاء محمد بن [علي بن] حسول الهمذاني:

---

[1]– اليتيمة، ص 264.

[2]– اليتيمة، ص 209.

[3]– اليتيمة، ص 360.

هَمَــذَانُ لِــي بَلَــدُ أَقُــولُ بِفَضْــلِهِ *** وَلَكِنَّــــهُ مِـــنْ أَقْـــبَحِ البُلْـــدَانِ.

صِــبْيَانُهُ فِــي القُــبْحِ مِثْــلُ شُــيُوخِهِ *** وَشُــيُوخِهِ فِــي العَقْــلِ كَالصِّــبْيَانِ.

وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة مسموما بمدينة هواة.

2-الحياة السياسية

منذ قامت الدولة العباسية شرعت طوائف مختلفة تتنازعها السلطات، فبعضها أفلح وبعضها أخفق، ثم طمع هؤلاء الخارجون وحاولوا الاستقلال بإمارتهم، فاستولوا على ما كان في يد الخلفاء العباسيين، إلاّ تلك البقعة الصغيرة في العراق حول بغداد، أنشأ العلويون في المغرب دولة الأدارسة (788-739م) وهي أقل دولة استقلت عن العباسيين[1].

وبعد فترة قصيرة نشأت دولة أخرى في المغرب أقامها "هارون الرشيد" لتكون حائلا بينه وبين الأدارسة، تلك الدولة هي دولة الأغالبة نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب وكان مقر هذه الدولة تونس.

ولمّا كانت دولة الأدارسة في المغرب قد قامت بالقوة، فإنّنا نجد لها نظيرا في المشرق تلك هي إمارة الصفاريين التي قامت سنة 254هـ التي ولاها "يعقوب بن ليث الصفار" وأخوه "إسماعيل بن ليث" وأعقابهما، وقد قام سلطان هذه الإمارة في ساجستان وهي التي تعرف حديثا باسم أفغانستان واتسعت رقعتها وامتد سلطانها حتى قاربت

[1]- مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م، ص 27.

العراق، وهناك الدولة السامانية التي قامت على أنقاض إمارة الصفاريين، وأزالت حكمه وكانت رقعتها فيها وراء النهر (نهر جيجون) وامتد سلطانها على خرسان أيضا[1].

ولا يفوتنا أن نذكر دولا ثلاثا لبديع الزمان الهمذاني بها صلة وثيقة.

- **الأولى:** الدولة الزيانية، وقد قامت في إقليم تبريستان وهو الإقليم الذي يقع جنوبي بحر قزوين، ولتلك الدولة صلة وثيقة بالأدبين العربي والفارسي.

- **أمّا الدولة الثانية** فهي دولة بني بويه، وهي أعظم الدول الصغيرة خطرا على تاريخ الخلافة العباسية، فلقد ولّى الوزارة فيها أدباء أشهر كتاب القرن الرابع مثل "أبي فضل بن العميد" وولد "ابن الفتح ابن العميد" و"الصاحب إسماعيل بن عباد" و"بن سعدان والمهلبي".

وكان بهذه الدولة من الوسائل الأدبية والمادية والعسكرية ما جعلها تحتل مكانة مرموقة في التاريخ، وبقيت هذه الدولة قوية مرهوبة الجانب حتى أزالها السلاجقة حوالي منتصف القرن الخامس الهجري، وعاش في رحاب هذه الدولة "بديع الزمان الهمذاني" و"أبو بكر الخوارزمي" و"أبو حيان التوحيدي"[2].

- **أمّا الدولة الثالثة** فهي دولة الغزنوية، وقد ظلت تحكم إقليم غزنازها قرن ونصف من الزمان تابعة اسميًا للدولة السامانية، وهناك دولة صغيرة ولكنها عظيمة قامت في حلب هي دولة أو إمارة بني همذان التي أسسها سيف الدولة "علي بن أبي

---

[1]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 28.

[2]– نفسه، ص 29.

الهيجاء الهذاني" وقد قامت هذه الإمارة في الثلث الأوّل من القرن الرابع وانتهت في نهايته، بالإضافة إلى الإمارة الحمدانية الأخرى في الموصل التي ولى أمرها ناصر الدولة وأبناؤه[1].

فإذا نظرنا إلى هذه الدولة الصغيرة وجدنا معظمها معترف سلطان العباسيين، فالسلطان أو الأمير له القوة وجميع النفوذ وهو مطلق الحرية ولكنّه يعترف بالخليفة لأنّه يعتبر سلطانه غير شرعي ما لم يثبته الخليفة بالاعتراف به[2].

وكانت أغلب دويلات المشرق تعترف بالخليفة العباسي باستثناء الطاهريين والصفاريين الذين كانوا يثورون حينا ثم يرجعون، وأمّا دول المغرب ومنها الأدارسة والفاطميون وبنو أميّة بالأندلس فلم تعترف بالخلافة العباسية[3].

إنّ لبديع الزمان الهمذاني صلات وثيقة بكثير من هذه الإمارات فقد اتصل بالصاحب ابن عباد وزير بني بويه وذهب إلى طبرستان مقر الدولة الزيانية.

وقد حلّ بديع الزمان بنيسابور سنة 382هـ وكانت تابعة للسمانيين وفي سنة 383هـ غادرها إلى ساجستان حيث اتصل بأميرها الأديب خلف بن أحمد، وبعدها توجّه إلى غزلة وهوات، وكانت آنذاك تحت حكم السلطان محمود الذي مدحه أديبنا فأجزل السلطان له العطاء.

---

[1]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 29.

[2]– نفسه، ص 30.

[3]– نفسه، ص 31.

3-الحياة الاجتماعية

لاشك أنّ الحياة الاجتماعية مرتبطة إلى حد كبير بالحياتين السياسية والأدبية بل إنّ الحياة الاجتماعية تنعكس دائما على أدب العصر وتتفاعل معه فيظهر نتاج مترف أو خليع أو وقور، كل ذلك نتيجة الحياة التي يحياها الشعب والإحساسات التي تحسها الأمة والتأثيرات التي يتأثر بها الناس، والمعروف أنّ القرن الرابع هو القرن الذي انقسمت فيه الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة شبه مستقلة لكل منها أميرها ووزراؤها فكان أغلب الأمراء غير العرب لهم مجالس ذات التقاليد الخاصة المترفة حتى أنّ الخلفاء أنفسهم في بغداد قد أدخلوا على بلاطهم ألوانا من الترف والنعيم لم يعهدها المسلمون فأنشؤوا القصور والحدائق وانفقوا الكثير من الأموال على تزيينها وزخرفتها وملئوا قصورهم بالجواري والغلمان[1]، فإذا انتقلنا إلى حياة وزراء بني بويه وجدناهم يحبون نفس الحياة.

ويعرفون أنفسهم في الكماليات التي تدل على بذخ مفرط وإسراف معيب وكثرت كذلك مجالس المجون والشراب حتى أنّه يحكي أنّ الوزير المهلبي[2].

كان له ندماء يجتمعون عنه في الأسبوع ليلتين على أطرح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهو ابن قويعة وابن معروف والقاضي التنوخي وآخرون هذا جانب من حياة الخلفاء والوزراء والمترفين، وكانت هذه الحياة مليئة بالبذخ والترف تحتاج إلى

---

[1]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 32، 33.

[2]– نفسه، ص 34.

أموال كثيرة، والشعب كان يعيش عيشة الكفاف، فكثرت المجاعات واختل الأمن انتشر السطو ونشط اللصوص.

وكان الخلفاء والأمراء يتبعون نظام الالتزام في جمع الضرائب، فكان الأمير أو الحاكم الذي يستقل بمدينة أولاية يحكمها حكمًا مطلقًا ويمارس فيها سلطة الرئيس الإقطاعي.

وكان الحكام أحيانا يعمدون إلى قتل الوزراء ومصادرة أملاكهم الواسعة كما فعل عن الدولة بن بويه مع الوزير المهلبي، وقد كثرت الحوادث واللصوصية في ذلك العصر[1].

وإذا انتقلنا إلى وصف حال الأدباء والعلماء في هذا العصر وجدناهم نوعين نوعًا له وشائج الصلة الأكيدة بالوزراء والأمراء فكان ينال من العطاء والمنح الشيء الكثير فيعيش في بحبوحة الحياة وسيرها، ونوعا آخر قاسي من شظف العيش ومرارة الحرمان ألونًا كثيرة ذلك أنّه لم يوفق إلى اصطناع أمير أو مراجاة وزير والأمثلة على ذلك كثيرة منها أبو حيان التوحيدي، أبو سليمان المنطقي وأبو علي القالي[2].

وهناك مسألة أخرى بالغة الأهمية اتخذت شكلا خطيرا رهيبا في القرن الرابع هي مسألة الرقيق والجواري فقد نشطت تجارته وكانت مصر وجنوب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا أكبر أسواق الرقيق الأسود وكان أغلب هؤلاء يرسلون إلى العراق، وكانت هناك

---

[1]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 35

[2]– نفسه، ص 35.

أنواع أخرى من الرقيق صقالبة وترك وهنود وروم وبلغار، وكان لكل نوع ميزة خاصة يعرفها أهل العصر، فكانت الصقلبيات مثلا أغلى الجواري ثمنًا لجمالهن وذكائهن وكانت كل جارية تتقن لونًا من ألوان العزف أو الرقص أو الغناء[1].

ومهما يكن من أمر فقد كان للرقيق أثر كبير في الحياة الاجتماعية في القرن الرابع بتغلغلهم في القصور ونفوذهم على قلوب السادة الكبار ومن الظواهر الاجتماعية الجديرة بالاهتمام ذيوع المجون والخلاعة وخلع العذراء واللهو واللعب ومجالس الإباحية.

وهناك مذاهب متعدّدة واعتقادات مختلفة نتجت عنها آثار فقد كانت المذاهب الشائعة هي السنة والمعتزلة والمرجبة والشيعة.

ولاشك أنّ القرن الرابع هذا كان العصر الذهبي لانتشار مذهب الشيعة بهذا الشكل الواسع[2].

هذه صورة سريعة لبعض جوانب الحياة الاجتماعية في القرن الرابع صور فيها حياة الخلفاء والأمراء والوزراء، والعامة ومهما يكن من ترف الخلفاء وإسراف الوزراء إلاّ أنّهم بتشجيعهم لكثير من الأدباء والعلماء قد برزوا في القرن الرابع في إطار من نور من حيث الإنتاج العقلي والأدبي[3].

---

[1]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 36، 37.

[2]– الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ص 99.

[3]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 38.

تلك كانت أهم مقومات الحياة الاجتماعية ومظاهرها في هذه الفترة التي احتوت بديع الزمان لأن آثارها متأثرة بها مصورة لها، ففي الوسائل يهتم بديع الزمان بالمسائل الاجتماعية ويخاطب الحكام طالبًا إنصاف المظلوم أو التأثر لقتيل أو عزل حاكم ظالم، ومصورًا الفساد والقسوة في معاملة الناس[1].

وفي مقامات يبرز الكدية التي كانت شائعة في ذلك العصر نتيجة لما كان يقاسيه الناس من الفاقة والفقر والعوز وهو يعدّد أنواع اللصوص وطرقهم ومجالس الخمر التي كانت شائعة والانحلال الخلقي والنفاق الاجتماعي، ويذهب في بعض مقاماته مذاهب المتحللين من الكتاب، فيذكر من القصص المكشوفة ما لا يجمل ذكره مثل: المقامة الشامية، والشيرازية والرصانية، الأمر الذي دعانا إلى الإشارة إلى هذا النوع من الحياة إشارة سريعة حتى نربط بين شخصية البديع وآثاره وبين عصره الذي عاش فيه.

4-الحياة العقلية

إنّ الكتاب المشاهير الذين تولوا قيادة النثر الفني في القرن الرابع، قد اهتموا عظيما بتصوير الحياة العقلية والأدبية والوجدانية التي شملت ذلك العصر، فمن الخطأ أن يظن أنهم وقفوا عند زخرفة الألفاظ والتعابير ولم يشتركوا في الأزمان العقلية والمحاولات الحـــزبية والـدينية في الحدود التي سمحت بها قوتهـم الأدبيـــة، واشتغلـــوا

[1]- مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 38، 39.

بالبلاغة ودراسة الشعر والنثر[1].

ومن ذلك نجد الحضور الشيعي بشكل لافت للانتباه ممثله في رسائل بديع الزمان ورسائل الخوازمي، وفي المقتطفات التي جمعها صاحب زهر الآداب معا قبل في آل البيت مدحًا ورثاءً، ممّا يدل على أنّ الشيعة كانت لها قوة صاخبة في ذلك العصر.

وكيف تشبعت عقول بعض الكتاب بالمعاني البديعية في محاوراتهم العقلية وبجانب الجدل العنيف الذي نشب بين العلويين والعباسيين، والعداوات التي كانت تقوي وتشتد كلما أثيرت ذكرى الخلافة والخلفاء ونراها ممثلة في الآثار النثرية في ذلك العهد، كانت تقوم آنذاك فتنة بين العرب والعجم وانقسام الأدباء إلى فريقين فريق يفضل العرب وفريق يفضل العجم[2]، وهي فتنة قديمة شبت منذ كان للموالي وأنصار الفرس أطماع في دولة الخلافة.

ولبديع الزمان الهمذاني رسالة جديدة تمثل تلك المناوشات يميل فيها إلى تفضيل العرب على العجم وعلى سائر الأمم... إذ كانوا في رأيه أوفى وأشجع وأعلم وإن لم يكونوا حتى تواصلت، والعرب ما ملكت إلاّ حين تواصلت، وإنّ العجم ما تواصلت إلاّ يأسًا من نفوسها، وأنّ العرب ما تطاولت إلاّ لما في رؤوسها من النخوة، ثم يمضي

---

[1]– زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص 128.

[2]– نفسه، ص 128.

بديع الزمان فيتحدث عن أعياد الفرس وعبادتهم للنار وهو بذلك يسخر منهم ويفضل العرب عليهم[1].

والذي يهمنا هو تقرير ما يمثله النثر في ذلك العهد من الشقاق الذي كان يثور بين العرب والفرس، أمّا حجج بديع الزمان في تفضيل العرب على الفرس وحجج خصومه في تفصيل الفرس على العرب، فتلك أشياء لا يهمنا تحقيقها الآن، وذلك الخلاف له قيمته في تقدير الحيوية التي كان يحسها رجال الأدب لذلك العهد، فكانوا يمثلون طوائفهم ودولهم بذلك الدفاع الذي كان يفيض حياة وقوّة وكان يحتوي أحيانًا على مباحث جديدة في بينا الفضائل النفسية والاجتماعية والأدبية التي تمتاز بها الأمم والشعوب[2].

وممّا يتصل بتصوير الحياة العقلية طريقة أولئك الكتاب في شرح حقائق الحياة، ويظهر أنّهم كانوا يميلون إلى الصراحة المطلقة فيما يختص بنعيم العقل والحواس، فما كانوا يخفون أغراضهم بالرمز والإشارة وإنّما كانوا يصرحون بما يحبون الخوض فيه، فكان من ذلك أن أكثروا من الرسائل في تهادي الخمر وأن وصفوا مجالس الشراب واللهو وصفًا مغريًا لا يترك هفوات الشباب ولا جرائم السكر بدون تصوير، وعرضوا للجمال الحسي في الغلمان فوصفوه وصفًا جرحًا، فقد حذف الشيخ "محمد عبده" طائفة من مقامات بديع الزمان لما فيها من الصراحة المفرطة في تصوير الشهوات، والذي

---

[1]– زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص 128.

[2]– نفسه، ص 129.

يراجع آثار الكتاب في ذلك العصر يقتنع بأنّهم لم يكونوا في الأغلب رجال حشمة وكانوا يفضلون الصراحة الغائبة[1].

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب، فكانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت من أطماعهم في الحياة المادية، وكانوا يمثلون غالبًا طوائف من الأفكار الدينية والحزبية.

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب ومن ضعف الخلق عند الغني ومن النبل عند الفقر.

وفي تلك المنافسات الشديدة وتلك الدسائس المعلونة التي كانت تقع بين الكتاب دليل على جشعهم في حب الحياة وفهمهم فهمًا ماديًا، يتناسب مع تلك العبقريات الفنية التي ظهرت في رسائلهم وأبحاثهم[(2)].

وأهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمذاني والخوارزمي وخصومة التوحيدي والصاحب بن عباد، أمّا خصومة الهمذاني والخوارزمي فترجع إلى رغبة الهمذاني في الظهور وطمعه في الانفراد بالشهوة وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطوّلة التي كتبها الهمذاني في وصف المناظرة التي

[(1)]– زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، 129.

[(2)]– نفسه، ص 129.

قامت بينه وبين الخوارزمي وهي رسالة مغرضة مملوءة بالتحامل والتهافت وليس فيها أفكار جدية[1].

ولو أنّ الخوارزمي دوّن بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بسط ذلك الحادث الأدبي واستطعنا أن نستخلص من مقابلة لنصين نفس الرجلين، لكن الهمذاني تكلّم وحده فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطعمه في قهر كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبين.

فالحياة العقلية في هذا العصر تميزّت بكثرة الخصومات بين الشعراء وهذا بهدف كسب الخليفة[2].

[1]– زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص 130.

[2]– نفسه، ص 131.

الفصل الأول

المقامة عند بديع الزمان الهمذاني

1- تعريف المقامة

2- عـدد مقامات بديع الزمان الهمذاني

3- موضوعها.

4- أسلوبها المقامة عند بديع الزمان الهمذاني

المقامة كفن من فنون النثر العربي ظهرت في القرن الرابع الهجري وازدهرت في عصر الانحطاط وهي شبه قصيرة مسجوعة في أغلب الأحيان ملحًا ونوادرا، وعظات، كان الأدباء يتبادرون في إظهار براعتهم اللغوية الأدبية[1].

يمتاز هذا الفن بأسلوب سردي حكائي خاص في بيان غرضه وخطابه وهدفه إذا هي أحدوثة أو حكاية أو قصة قصيرة تعتمد ولا شك في أغلب أحداثها على الخيال لا على الحقيقة وهي تعتمد على راو وبطل محوري وشخصيات هامشية وأغلبها شخصيات خيالية وهمية غير حقيقية وهي تختلف من حيث الحجم فتارة لا تبلغ حد الخبر القصير الموجز، وتارة تبلغ حد القصة أو قضايا الفساد، كفساد الحكاية القصيرة كما تختلف أيضا من حيث الموضوع فترى البعض منها يتناول قضايا الفساد كفساد الحكام أو القضاة أو رجال الدولة وما إلى ذلك من شخصيات سياسية واجتماعية والبعض الآخر يتطرق إلى الوعظ والإرشاد[2].

كما تتسم بطابع أدبي ساخر لاذع وتارة بسمة فكاهية سخيفة تافهة والمقامات عادة تنطوي على آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة وأمثال وحكم وتنتظم في مفردات غريبة قل استعمالها أو اندثرت تبدأ المقامات عادة بحديث الراوي فيقال في أولها "حدثنا فلان..." ويسرد الراوي في حديثه حكاية البطل المحوري الذي يمتاز في أغلب الأحايين بذكائه الحاد ونضجه الأدبي، وحنكته في تجارب الحياة لسانه الذرب

---

[1]– محمد هادي مرادي، فن المقامات النشأة والتطور، دراسة وتحليل، ص 02.

[2]– نفسه، ص 02.

الذي يغتن السامعين، وشخصيته الماكرة الخادعة التي لا تتكشف إلاّ في نهاية المقامة.

والمقامة كما ذكرنا حكاية قصيرة فهي إذن لها بداية ولها نهاية، وفيها شخوص محورية وهامشية ولها بعد مكاني وزماني وفيها عقدة تنعقد وتتأزم وحل وهو النهاية[1].

وتمتاز بالسرد والحوار الأسلوب الحكائي والوصف الذي يلعب دورا بارزًا في وصف المكان والزمان والشخوص التي يصفها تارة من الخارج فيصف ملامحها وصورها وأشكالها وألوانها وتارة وصفا داخليًا يغور في أعماق نفوسها.

سمّى بديع الزمان كتابة المعروف "كتاب المقامات" ولم يترك لنا مقدمة يوضح فيها سبب هذه التسمية، ولعله فعل، ولكن هذه المقدمة ضاعت مع ما ضاع من مقاماته[2].

وتدل كلمة "مقامة" بفتح الميم واحدة المقامات في الاستعمال العربي القديم على موضع القيام فهي مفعلة من القلم، يقال مقام ومقامة كمكان ومكانة وهما في الأصل اسمان لموضع القيام[3].

وتوسع العرب في استعمال كلمة "مقامة" حتى استعملت المكان والمجلس ويظهر هذا الاستعمال جليا عند عدد من أقدم شعرائنا الجاهليين كقول بشامة بن الغدير:

---

[1]– وهذا ما حدا البعض بأن جعلها قصة تتوفر فيها العناصر القصصية.

[2]– حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، ص 09، 11.

[3]– مقامات الزمخشري 101، معلمة التوفيق، الطبعة الثانية، القاهرة، 1325هـ.

شـــربت بالقعـــب الصـــغير وقـــادني *** نحـــو المقامـــة مـــن بنـــي الأصـــغر.

ويقول "نهشل بن حرى الدرامي":

إنـــا نظرنـــا فـــي المقامـــة مالكًـــا *** نظـــر المســـافر أيـــن ضـــوء الفرقـــد.

ويقول "مالك بن حريم الهمذاني":

وأقبـــل أخـــوان الصـــفاء فأوضـــعوا *** إلـــى كـــل أحـــوى فـــي المقامـــة أفرعـــا.

ومن هنا أطلقت على أهل المجلس فيقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة ومن ذلك قول لبيد:

ومقامـــــة غلـــــب الرقـــــاب كـــــأنهم *** جـــن لـــدى بـــاب الحصـــير قيـــام.

دافعـــت خطتهـــا وكنـــت واليهـــا *** إذا دعـــى فصـــل جوابهـــا الحكـــام.

والجمع مقامات كما في قول زهير[1]:

وفـــيهم مقامـــات حســـان وجوههـــا *** وأنديـــه ينتابهـــا القـــول والفعـــل.

إن جئـــتهم ألفيـــت حـــول بيـــوتهم *** مجـالس قـد يشـفى بأحلامهـا الجهـل.

وإن قـــام مـــنهم قـــائم قـــال قاعـــد *** رشـــدت فـــلا غـــرم عليـــك ولا خـــذل.

وبديع الزمان وه أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء إذ عبر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور وأحاديث تلقى في جماعات، فكلمة مقامة عدده قريبة المعنى من كلمة حديث.

---

[1]– شرح ديوان زهير113 والأول في مقامات البديع، ص 47، بشرح الشيخ محمد عبده، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة السابعة 1973.

وهو عادة يصوغ هذا الحديث في شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها ويتخذ لقصصه جميعا راويًا واحدا هو "عيسى بن هشام"، كما يتخذ لها بطلا واحدا هو أبو الفتح الأسكندري الذي يظهر في شكل أديب شحاذ لا يزال يروع الناس بمواقفه بينهم وما يجري على لسانه فصاحة في أثناء مخاطبتهم[1].

وليس في القصة عقدة ولا حبكة وأكبر الظن أنّ بديع الزمان لم يعن بشيء من ذلك فلم يكن يريد أن يؤلف قصصًا، إنما كان يريد أن يسوق أحاديث لتلاميذه تعلمهم أساليب اللغة العربية وتفهم على ألفاظها المختارة.

فالمقامة أريد بها التعليم منذ أول الأمر، ولعله من أجل ذلك سمّاها بديع الزمان مقامة، ولم يسمها قصة ولا حكاية فهي ليست أكثر من حديث قصير، وكل ما في الأمر أنّ بديع الزمان حاول أن يجعله مشوّقًا فأجراه في شكل قصصي.

1- مقاماته

اشتهر البديع بالمقامات التي اخترع فنّها اختراعًا، وانساق في تيارها انسياق مقدرة واستغلاء، وراح يتطاول بها على كل ذي علم ومعرفة، ويتصدى لكل سابق ولاحق، وفي نفسه أنّه برّ المتقدمين وعلى رأسهم الجاحظ وأنّه بلغ القمة التي يستحيل على غيره أن يبلغها[2].

---

[1]- لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة،01 فبراير 1904، ص 08.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م، ص 624.

2- عدد مقامات الهمذاني

قال الهمذاني في رسالة طواها على نقد لإحدى قصائد الخوارزمي: « ولو أنصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات، ثم عرضها على الأسماء والضمائر وأهداها إلى الأمصار والبصائر، فإذا كانت تقبلها ولا تزجها أو تأخذها ولا تمّجها، كان يعترض علينا بالقدح، وعلى إملائنا بالجرح، أو يقصر سعيه ويتداركه وهنة فيعلم أنّ من أملى مقامات الكدية أربعمائة لا مناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى، وهو لا يقدر منها على عشر، حقيق يكشف عيوبه والسلام»[1].

وقد تناول الحصري والثعالبي هذا الكلام وأثبت العدد في غير تردد وفاتهما أنّ البديع رجل تبجح ومغالاة ورجل كبرياء تضخم الأمور في سبيل أهدافها، وتحرّف الحقائق في سبيل التباهي والاستعلاء والأمر الذي لا شك فيه أنّ للبديع اثنين وخمسين مقامة، وضع منهما أربعين إذ كان معلمًا في نيسابور، ثم وضع ستا في مديح خلف بن أحمد صاحب سجستان وهو نازل عنده، ثم أضاف إلى ذلك كله ست مقامات أخرى كانت خاتمة الباب وفضله ما في الجراب[2].

3- موضوعها

وليست المقامات ذات موضوع واحد يعني الكاتب بمعالجته، أو يهتم لتفصيله، وإنما هي شبهت من الموضوعات يجري في إطاره القصصي العام حول الكدية

---

[1]-حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 625.

[2]- نفسه، ص 624.

والاحتيال للتعيش ويجري في إطاره الجغرافي حول ما يشبه الرحلات من بلد إلى آخر[1] ويجري في إطاره الإنساني حول رواية اسمه "عيسى بن هشام" وبطل اسمه أبو الفتح الأسكندري، وأمّا الغرض الذي لأجله وضعت المقامات فهو كما قلنا شتيت من الموضوعات والأغراض في رأسها جمع الألفاظ والتعبيرات، وأبدع التشبيهات والاستعارات والكنايات، وتنميق الكلام بألوان الطباقات والجناسات وشتى البديعات وإلى جنب ذلك فقد عرض البديع للقريض والأدب والنقد، كما في المقامات القريضية، والغيلانية والعراقية والجاحظية فتناول في الأولى امرؤ القيس وأثنى على ابتكاراته وتناول النابغة وبين عوامل إجادته وتناول زهيرا وطرفة ورفع شأن شاعريتهما وعالج الأدب المقارن فقارن بين الأخطل وجرير والفرزدق ثم عرض لمشكلة القديم والحديث وللصراع القائم بين أربابها، وذلك كله بكلام موجز وأحكام عامة جازمة فيها كثير من الصحة والدقة وفي المقامة العراقية تحليل نقدي لعديد من الأبيات الشعرية وفي المقامة الجاحظية يحاول البديع أن يحط من شأن الجاحظ وأن ينصب نفسه جاحظ زمانه وهو يأخذ عليه ما نعده آية البلاغة عدده وعرض البديع في مقاماته للوعظ الديني كما فعل في المقامة الوعظية عندما وقف الناس يعظهم على التطلع إلى الآخرة ونبذ الفانية في نزعة عقلية صوفية وفي أسلوب جاهلي إسلامي[2].

[1]– هذا ما يظهر في الكثير من المقامات.

[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 628.

4- أسلوب المقامة عند بديع الزمان الهمذاني

أول ما يلفت القارئ في مقامة البديع أنّها وضعت في شكل حوار قصصي، وهو حوار يمتد بين عيسى بن هشام الراوي وأبي الفتح الأسكندري البطل، أو الأديب المحتال الذي يعرف كيف يلعب بعقول الناس ويستخرج منهم الدراهم عن طريق خلابيته وفصاحته.

والحوار يأتي على الهامش، فالقصد الأول مقامة البديع إنما هو الإتيان بمجاميع من الألفاظ والأساليب التي تخلب السامعين وتخترق بروعتها حجاب قلوبهم، فليس للبديع غاية قصصية بالمعنى الدقيق، وإنما غايته أن يصوغ ألفاظا، أو قل أنغامًا من الكلام ويصبغها بالألوان الفنية التي كانت معروفة في عصره.

ومن أجل ذلك اختار صيغة السّجع لمقاماته، وكانت هي الصيغة التي يعجب بها عصره، أعجب بها عند ابن العميد في رسائله، كما أعجب بها عند غيره من تلاميذه، فكان لابد للبديع كي ينال استحسان معاصريه من أن يعتمد اعتمادًا على هذه الوسيلة، ويستخدمها في كل ما ينمق من مقاماته ويوشي من أحاديثه[1].

وهو يظهر براعة فائقة في استخدامها، حقا إنّه لا يلتزمها دائما، ولكنه يجنح إليها غالبًا، فالأصل عنده أن يسجع، ولا يترك السجع إلاّ نادرً.

[1]- لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، ص 32، 33.

وكانت تسعفه في ذلك حافظة نادرة، وبديهة حاضرة، وذكاء حاد، وإحساس دقيق باللغة ومترادفاتها، وأبنيتها واستعمالاتها المختلفة[1].

فما هي إلاّ أن يتوجه إلى الكلام، حتى تنهال عليه الألفاظ من كل جهة، كأنّها السيول تنفذ من كل صوب، وكان يعرف كيف يفيد من هذه السيول فهو يضع الكلمات مواضعها حتى دقة وبراعة منقطعة النظير [2].

ومن هنا كان سجعه في جملة خفيفًا رشيقًا، فليس فيه تكلف وليس فيه صعوبة ولا جفاء فهو دائما كأنما يستمد من فيض لغوي لا ينفذ وتراه إزاء المعنى وكأنّه الصائد الماهر الذي يحسن إلقاء شباكه على صيده فلا يخطئه، بل يصبه دائما، ويخيّل إليه كأنّه يجمع نفسه جمًا إزاء الكلمات اللغوية، فإذا هو قد أحصاها وإحصاء، وإذا هو يجيء بما يوافقه ويريده منها وكأنّه يمسك بزمامه[3].

فليس هناك معنى يعسر على البديع التعبير عنه وليست هناك كلمات تختفي منه وراء حواجز اللغة ومتشابكاتها، بل الكلمات تقبل عليه من كل جانب ليختار منها ما يريد له هواه، وما تريد له حاسته اللغوية الدقيقة.

كما أنّ البديع يعرف كيف يختار الكلمة المناسبة ويف يضعها في موضعها فلا بنو ولا شذوذ، بل وإنما دقة وضبط وإحكام في عذوبة وسلامة وتناسق وانسجام[4].

---

[1]– لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، ص 33.

[2]– نفسه، ص 32، 33.

[3]– نفسه، ص 33، 34.

[4]– نفسه، ص 34.

وهو يمسح على ذلك بروح فكاهية بديعة تتخلل مقاماته، فتجعلها أكثر قبولا لدى النفوس، ويظهر أنّ البديع كان ينطوي على مرح في داخله، فسكبه في مقاماته.

كما أنّ نفس البديع لم تكن دائما مطوية على الضّحك والفكاهة فمن يتابعه في رسائله يجده أحيانا يفضي إلى ضروب من التشاؤم، وقد يكون مرجع الجانبين عنده حدّة في حسه جعلته مرهف الشّعور، وهي حدّة كان يرافقها ذكاء تسديد وبديهة حاضرة، فأعده ذلك ليطرق قراءة بدعاباته وفكاهاته[1].

[1]– لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، ص 34.

الفصل الثاني

تجليات البعد الاجتماعي في مقامات الهمذاني

1- المقامة الصيمرية

2- المقامة الخمرية

3- المقامة المجاعية.

4- المقامة البغدادية

إذا كانت رسائل بديع الزمان تعتبر سجلا لأحوال الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجري، فالأمر كذلك فيما يتعلق بالمقامات فهي تصور أخلاق المعاصرين وأحوال العصر أحسن تصوير[1].

1-المقامة الصيمرية

وفي المقامة الصيمرية يصور بديع الزمان أخلاق العصر على لسان عيسى بن هشام في قصة رجل يقال له الصيمري، « ذلك أنّه عاد من الصيمرى وله مال كثير وخير وفير فاصطحب كثيرا من الأصدقاء في دار السلام، وانصرفوا إلى اللهو من صبوح وغيوق، غذاؤهم الجدايا الرضع، وشرابهم نبيذ العسل وسماءهم من المحسنات الحاذقات الموصوفات في الآفاق، ونقلهم اللوز المقشر، والسكر الطبرزد، وريحانهم الورد، وبخورهم الند، حتى إذا انتهت ذخيرته.

وخف المتاع، وانحط الشراع وفرغ الجراب، تبادر القوم إلى الباب، لما أحسوا بالقصة وصارت في قلوبهم غصة، ودعوني برهة، وانبعثوا للفرار، كرمية الشرار، وأخذتهم الضجرة، فانسلوا قطرة قطرة، وتفرقوا يمنة ويسرة وبقيت على الأجرة، وقد أورثوني الحسرة، واشتملت منهم على العبرة لا أساوي بعرة، وجيدا فريدا كالبوم، المرسوم بالشوم، أقع وأقوم كأن الذي كنت فيه لم يكن وقد ذهب جاهي، ونفذت صحاحي، وقل مراحي، وسلحت في راحي، ورفضي الندماء، والإخوان القدماء، لا يرفع

[1]- مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمداني، ص 369، 370.

لي رأس، ولا أعد من الناس»[1]، ثم أنّه هجر موطنه وسافر إلى السند والهند، والنوبة والقبط واليمن والحجاز ومكة والطائف وامتهن الشعوذة والكدية فأثرى واغتنى وعاد إلى موطنه مبسط الحال، فأقبل القوم القدامى يهنئونه بسلامة الوصول في شوق ولهفة فأحسن استقبالهم وفي اليوم التالي أقام لهم وليمة وسقاهم شرابا كثيرا حتى ثملوا ثم أرسل في شراء سلال كبيرة، وأحضر حلاقا أمره بحلق لحاهم جميعا حتى صاروا مردة كأهل الجنة وجعل لحية كل واحد منهم مصرورة في ثوبه ومعها رقعة مكتوب فيها "من أضمر بصديقه الغدر وترك الوفاء كان مكافأته الجزاء" ثم وضعوا جميعا في أسلال وجملهم الحمالون إلى منازلهم، فاعتزلوا الناس والطريق أنّ أحدهم كان كاتبا لأحد الوزراء فلما تغيّب عن عمله أرسل الوزير في طلبه غير أنّه علم ما حدث من أمره وما جرى عليه فضح الوزير كثيرا وأرسل إلى الصيمري خلعة سنية[2].

هذه الواقعة وأمثالها نشرح لنا أخلاق الناس في ذلك العصر وهم في أخلاقهم تلك لا يكادون يختلفون عن المعاصرين من أهل زماننا في شيء ولكنها على كل حال تعطينا صورة عن القرن الرابع لم تكن لتظهر لنا بهذا الوضوح لولا أن ذبحتها براعة بديع الزمان الهمذاني[3].

---

[1]– أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 238، 239.

[2]– نفسه، ص 239.

[3]– مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمداني، ص 371.

والحياة الاجتماعية وأحوال الناس يكاد يلمسها الإنسان في أكثر مقامات البديع ممثلة في الأعمال المختلفة التي كان يأتيها أبو الفتح الأسكندري المكدي الذي كان يتخذ في كل مقامة شكلا ويلبس لكل حال ثوبا خاصًا يصوّر فيه أعمال المكديين وحيلهم واحتيالهم في أشكال مختلفة ورسوم متباينة وليس أبو الفتح الأسكندري في الواقع إلاّ صورة من أهل ذلك العصر[1].

2-المقامة الخمرية

ويظهر من مقامات البديع أنّ عصره كان عصر تحلل خلقي شنيع من سكر وخلاعة ومجون ففي المقامة الخمرية نجد أبا الفتح إمامًا في أحد المساجد يؤم الناس لصلاة الفجر فيدخل جماعة من السكارى صلاة بدافع الهوس والمجون وعدم الاكتراث بحرمة الدين، ثم لا يلبث الإمام أن يشم فيهم رائحة أم الكبائر فيؤلب المصلين عليهم فيوسعونهم ضربا ولكما وسبًا وشتما حتى مزقت الأدوية ودميت الأفقية[2].

ثم خرجوا من المسجد واستعرضوا الحانات وقد جعلوا "الدينار إماما والاستهتار لزاما" فوصلوا إلى حانة فيها ساقية لعوب ذات دل وأسلوب خمرها كريقها حلوة عذبة سلافها منعشة معتقة، فسروا سرورًا كبيرا ثم سألوها عن مطرب الحسان فأجابت أنّه شيخ لطيف وقور ظريف واستدعته فشد ما كانت دهشة السكارة ؟ عندما وجدوه إمام

[1]- أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 238.
[2]- مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 371، 372.

المسجد الذي ما إن رآهم حتى نخر نخرة المعجب وصاح وزمهر وضحك حتى القهقهة قال:

دع مـــن اللـــوم ولكـــن *** أي دكـــــاك ترانـــــي.

أنـــا مـــن يعرفـــه كـــل *** متهـــــام ويمـــــاني.

ومن دلائل الانحلال الخلقي أيضا المقامة الشامية والمقامة الرصافية ومجمل القول أنّ مقامات الهمذاني تعتبر من الوثائق التاريخية التي تعطينا فكرة صريحة عن الحياة الاجتماعية في زمانه وأحوال العصر وأخلاق الرجال[1].

3-المقامة المجاعية:

على غرار البناء الفني لمختلف مقامات الهمذاني تتشكل المقامة المجاعية من السند والمتن، أو من الإطار والمحتوى، فأمّا الإطار فيتجلى في العبارة المسكوكة: "حدثنا عيسى بن هشام" قال: « وغني عن البيان أنّ بديع الزمان الهمذاني قد فوض للراوي عيسى بن هشام مهمة الحكي والرواية، فهو يحكي عن كل ما يصادفه في المجتمع البغدادي من مظاهر القوة والضعف والمعرفة والجهل والعدل والظلم والغنى والفقر والسيد والعبد والصدق والكذب... كل ذلك عبر شخصية مركزية "أبو الفتح الإسكندري" الذي اشتهر بالذكاء والفطنة والتمكن من المعارف الأدبية واللغوية والدينية واقتفاء سبل المكر والخديعة والكدية وقد وظف كل هذه القدرات المخصوصة لاستجداء

[1]- مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، ص 372.

وطلب المساعدة في الأسواق والطرق واللقاءات الجماعية».

ونبدأ المقامة المجاعية بإشارة الراوي عيسى بن هشام إلى كونه كان في بغداد عام الجوع فتوجه إلى جماعة من الأفراد يطلب منهم يد العون للتحقيق من وطأة الجوع والإحساس بالغربة ولما كان الجوع أكثر حدّة على الراوي مسألة غلام من المجاعة عن الأكل الذي يود أن يتناوله، هل هو رغيف وبقل وخل وخردل وشواء أم أوساط محشوة وأكواب مملوءة أم لحم طري وسمك نهري فكان جواب الراوي عيسى بن هشام أنّ قلبه يهفو إلى كل هذه الأنواع من المأكولات فرد عليه أبو الفتح الإسكندري بعد أن عرض ما طاب ولذّة من أصناف الأطعمة، وبلغة تقطر بديعا وتلألأ بيانا وتهتز تنميقًا: ما كنت لأحرمك منها لو كانت متوفرة[1].

يمكن القول أنّ الطابع الخيالي والنزعة الإبداعية لهذه لمقامة بالغة الجودة اللغوية والسبك البديعي جعلا منها منجزا فنيا، يحفل بالسخرية الهادفة والنقد الجمالي لواقع اجتماعي يفتقد إلى الانصاف والتوزان مما أفسح المجال أمام دنيا الأحلام والأوهام اللامحدودة والترف اللغوي المقصود الذي جاء لتحقيق عدد من الأغراض الظاهرة والمستترة لعل من بينها التعويض عن الخصائص المادي والاجتماعي بالوفرة اللغوية فائقة التجمل البديعي والبياني في ظل نسق سياسي عربي موسوم بالحرمان والتهميش والظلم الاجتماعي الذي تمطى بصلبه وخصوصًا في العقود الأخيرة من القرن الرابع

[1]– بديع الزمان الهمذاني، المقامة المجاعية، تحقيق: نور الدين، محقق بقلم الصادق ببغلال، 26 ماي 2015.

الهجري من تاريخنا العربي[1].

4-المقامة البغدادية[2]

من أشهر مقامات بديع الزمان الهمذاني التي تناول فيها موضوع الكدية وهو الحصول على الرزق من خلال الميل والخداع وقد دارت أحداث المقامة في بغداد وهي عبارة عن قصة احتيال قام بها بطل المقامة عيسى بن هشام على رجل عراقي للحصول على غذائه واعتمد فيها بديع الزمان الهمذاني على البلاغة وحسن السجع كغيرها من المقامات[3].

ويتحدث الهمذاني في هذه المقامة على لسان راويه عيسى بن هشام حيث يقول: « لقد اشتهيت الطعام وأنا في بغداد وليس معي أي نقود، فخرجت أبحث في منطقة الكرخ وهي منطقة غرب بغداد بين محلات اقتنص فرصة للحصول على الطعام حتى وجدت رجلا من السواد وهي منطقة جنوب بغداد فرأيته يجر حماره ويرد طرفي ثوبه على بعضهما وربما من كثرة صرر المال الذي معه فقلت: ظفرت بصيد ثمين، فأوهمته أني أعرفه فقلت له: حياك الله يا أبا زيد، وصرت أسأله عن حاله فقال: لست أبا زيد، أنا أبو عبيد فقلت: أنساني إياك الشيطان وسالته عن حال والده لأوهمه أني أعرفه أيضا، فقال: مات من زمن وقد بنت العشب على قبره فأسرعت أريد أن أشق ثوبي فردعي السوادي ومنعني من ذلك وناشدني الله أن لا أمزقه، ثم قلت له: تفضل

---

[1]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2005.

[2]- المقامة البغدادية، www.adob.com، أطلع عليه بتاريخ: 2018/11/26 بتصرف.

[3]- نفسه.

معي إلى البيت أو إلى السوق والسوق طعامه أطيب وهو أقرب من البيت، وقد استفزته رائحة الشواء وزادت شهوته لأكل اللحم، فطمع بغذاء ولم يعلم أنّه وقع في المصيدة التي نصبتها له، فذهبنا إلى محل شواء يتقاطر فيه الدسم من اللحم المشوي ويسيل على جوانبه وعلى الخبر المخبوز في التنور، فقلت للشواء أم يعد لأبي زيد الطعام والحلوى والخبز ليأكل هنيئًا وبدأ الشواء بعمله واختار لنا أفضل ما عنده من اللحم المشوي وأعدّه أحسن إعداد وأكلناه أنا وأبو زيد ثم أمرت بأن تعد له الحلوى المحشوة بالجوز واللوز ووصف هذه الحلوى الطيبة ثم جلسا وشمر كل منّا على ساعديه حتى استوفينها أي أنهينا الحلوى، ثم قلت لأبي زيد ما أحوجنا إلى الماء البارد ليدفع عنا هذا العطش وحر الطعام الذي أكلناه وخرجت أوهمه أني سآتي بالماء ولم أعد بل جلست أراقبه من مكان أراه فيه ولا يراني، فلما تأخرت عليه خرج إلى حماره ، فقال له الشواء: أين ثمن ما أكلت فقال السوادي: كنت ضيفا على هذا الطعام فلكمه الشواء ولطمه وقال له متى دعوناك! أعطيني عشرين درهما من كيسك هذا فبدأ السوادي يبكي ويحل عقدة كيس نقوده بأسنانه ويقول كم قلت لذلك القريد إني ابو عبيد ويقول أنت أبو زيد وأنشد عيسى بن هشام بيتين من الشعر ومعنى البيتين، اعمل أيها الإنسان من أجل رزقك كل وسيلة ممكنة ولا تقعد أبدا وانهض قبل أن تعجز تماما عن السعي وراء رزقك[1].

[1]– المقامة البغدادية، www.adob.com، أطلع عليه بتاريخ: 2018/11/26 بتصرف.

إنّ معظم مقامات بديع الزمان الهمذاني تدور حول الكدية فهذه المقامة تصور سعة حيلة بطلها حين احتاج إلى الطعام ولم تكن معه نقود واستطاع برغم ذلك أنّ يأكل حتى يشبع وتصور المقامة جانيا من الحياة الاجتماعية في بغداد مثل سذاجة بعض أهل القرى المحيطة بها من طبقة المزارعين واحتيال المحتالين عليهم كما تصور لنا بعض أصناف الأطعمة المعروفة في هذا العصر[1].

أو ما يلفت القارئ في مقامة البديع أنّها وضعت في شكل حوار قصصي وهو حوار يمتد بين عيسى بن هشام الراوي وأبي فتح الإسكندري البطل أو الأديب المحتال الذي يعرف كيف يلعب بعقول الناس ويستخرج منهم الدراهم عن طريق خلابته وفصاحته.

والحوار يأتي على الهامش، فالقصد الأول في مقامة البديع إنما هو الإتيان بمجاميع من الألفاظ والأساليب التي تغلب السامعين وتخترق بروعتها حجاب قلوبهم فليس للبديع غاية قصصية بالمعنى الدقيق، وإنما غايته أن يصوغ ألفاظًا أو قل أنغامًا من الكلام ويصبغها بالألوان الفنية التي كانت معروفة في عصره ومن أجل ذلك اختار صيغة السجع لمقامته وكانت هي الصيغة التي يعجب بها عصره، أعجب بها عند ابن العميد في رسائله كما أعجب بها عند غيره من تلاميذه، فكان لابد للبديع كي ينال استحسان معاصريه من أن يعتمد اعتمادًا على هذه الوسيلة، ويستخدمها في كل ما

[1]– المقامة البغدادية، www.adob.com، أطلع عليه بتاريخ: 2018/11/26 بتصرف.

ينمق في مقاماته ويوشي من أحاديثه[1].

وهو يظهر براعة فائقة في استخدامها حقا إنّ لا يلتزمها دائما ولكنه يجمح إليها غالبا، فالأصل عنده أن يسجع ولا يترك السجع إلاّ نادرا، وكانت ستعفه في ذلك حافظة نادرة، وبديهة حاضرة، وذكاء حاد، وإحساس دقيق بالغة ومترادفاتها وأبنيتها واستعمالاتها المختلفة[2].

فما هي إلاّ أن يتوجه إلى الكلام، حتى تنهال عليه الألفاظ من كل جهة كأنّها السيول تنفذ من كل صوب وكان يعرف كيف يفيد من هذه السيول فهو يضع الكلمات مواضعها في دقة وبراعة ومتقطعة النظير ومن هنا كان سجعه في جملته حفيفا رشيقا، فليس فيه تكلف وليس فيه صعوبة ولا جفاء فهو دائما كأنما يستمد من فيض لغوي لا بنفذ وتراه إزاء المعنى وكأنّه الصائد الماهر الذي يحسن إلقاء شباكه صيده، فلا يخطئه، بل يصيبه دائما، ويخيل إليه كأنّه يجمع نفسه جميعًا إزاء الكلمات اللغوية، فإذا هو قد أحصاها إحصاء، وإذا هو يجيء بما يوافقه ويريده منها وكأنّه يمسك بزمامه[3].

فليس هناك معنى يعسر على بديع التعبير عنه، وليست هناك كلمات تختفي منه وراء حواجز اللغة ومتشابكاتها، بل الكلمات تقبل عليه من كل جانب ليختار منها ما يريده هواه، وما تريد له حاسته اللغوية الدقيقة، كما أنّ البديع يعرف كيف يختار الكلمة

---

[1]– لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، دار المعارف، القاهرة مصر، الطبعة الثالثة، ص 08.

[2]– نفسه، ص 08.

[3]– نفسه، 08، 09.

المناسبة وكيف يصنعها في مواضعها فلا بنو ولا شذوذ بل دائما دقة وضبط وإحكام في عذوبة وسلامة وتناسق وانسجام[1].

وهو يمسح على ذلك بروح فكاهية بديعية تتخلل مقاماته، فتجعلها أكثر قبولا لدى النفوس ويظهر أنّ البديع كان ينطوي على مرح في داخله فسكبه في مقاماته.

كما أنّ نفس البديع لم تكن دائما مطوية على الضحك والفكاهة فمن يتابعه في رسائله يجده أحيانا يفضي إلى ضروب من التشاؤم وقد يكون مرجع الجانبين عنده حدّة في حسه جعلته مرهف الشعور، وهي حدّة كان يوافقها ذكاء شديد وبديهة حاضرة، فأعده ذلك ليطرف قراءة بدعاباته وفكاهاته[2].

[1]– لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، ص 08، 09.

[2]– نفسه، ص 09.

خاتمة

لقد أفضى البحث إلى جملة من النتائج نسردها في الآتي:

- ✓ إنّ المقامة نصوص لم تنشأ بمعزل عن الظروف السياسية والاجتماعية.
- ✓ يعدّ بديع الزمان الهمذاني المبتكر الأول لفن المقامة.
- ✓ إنّ المقامة عبارة عن قصص قصيرة تقال في مقام معين مثيرة ومسجوعة.
- ✓ تشمل المقامة على الكثير من درر اللغة، وفوائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادر.
- ✓ تهدف إلى إعطاء الدروس والنصائح وإعطاء الناس بعض المعلومات العامّة عن أمور حياتهم ومجتمعهم.
- ✓ تتميز المقامة في بعض الأحيان بطابع ساخر لاذع فكاهي من الحياة وما يحدث فيها.
- ✓ المقامة غاية تعليمية هدفها تدريس وتعليم اللغة والبيان والتدرّب على الأسلوب الجميل.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

2. بديع الزمان الهمذاني، المقامة المجاعية، تحقيق: نور الدين محقق بقلم الصادق ببغلال، 26 ماي 2015.

3. حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، دراسة وتحليل، دار المعارف.

4. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م

5. رسائل البديع 253، ويتيمة الدهر للثعالبي، 271/4 التحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1392، 1973م

6. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع.

7. شرح ديوان زهير113 والأول في مقامات البديع، بشرح الشيخ محمد عبده بيروت المطبعة الكاثوليكية، الطبعة السابعة 1973.

8. لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة.

9. محمد هادي مرادي، فن المقامات النشأة والتطور، دراسة وتحليل.

10. مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م

11. مقامات الزمخشري 101، القاهرة، معلمة التوفيق، الطبعة الثانية، 1325هـ.

12. مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2005.

13. شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، 608-681، حققه الدكتور إحسان عباس، دار بيروت.

14. المقامة البغدادية، www.adob.com، أطلع عليه بتاريخ: 2018/11/26 بتصرف.

الملحـــق

نماذج مقامات بديع الزمان الهمذاني

1- المقامة الصيمرية

حَدَثَّنا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ المَعْرُوفُ بِأَبِي العَنْبَسَ الصَّيْمَرِيُّ: إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَخَبْتُهُمْ وَادَّخَرْتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَاتَّعَظَ وَتَأَدَبَ.

وَذَلِكَ أَنِّي قَدِمْتُ مِنَ الصَّيْمَرَةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلامِ، وَمَعِي جِرَابُ دَنَانِيرَ وَمِنَ الخُرْثِيِّ وَالآلَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا لا أَحْتَاجُ مَعَهُ إِلى أَحَدٍ، فَصَحِبْتُ مِنْ أَهْلِ البُيُوتَاتِ والكُتَّابِ والتُّجَّارِ، وَوُجُوهِ الثَّنَاءِ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَاليَسَارِ، وَالجِدَةِ والعَقَارِ، جَمَاعَةً اخْتَرْتُهُمْ لِلْصُحْبَةِ، وَادَّخَرْتُهُمْ لِلْنَّكْبَةِ، فَلَمْ نَزَلْ في صَبُوحٍ وَغَبُوقٍ، نَتَغَذَّى بِالجَدَايا الرُّضَعِ وَالطَّبَاهِجَاتِ الفَارِسِيَّةِ، وَالمُدَقَّقَاتِ الإِبْرَاهِيمِيَّةِ، وَالقَلاَيَا المُحْرِقَةِ وَالكَبَابِ الرَّشِيدِي وَالحُملانِ، وَشَرَابُنَا نَبِيذُ العَسَلِ، وَسَمَاعُنَا مِنَ المُحْسِنَاتِ الحُذَّاقِ، المَوْصُوفَاتِ فِي الآفَاقِ، وَنَقْلُنَا اللَّوْزُ المُقَشَّرُ وَالسُّكَّرُ وَالطَّبَرْزَدُ، وَرَيْحَانُنَا الوَرْدُ وَبَخُورُنَا النَّدُّ، وَكُنْتُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ.

وَأَظْرَفَ مِنْ أَبي نُواسٍ، وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ، وَأَشْجَعَ مِنْ عَمْرو، وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ وَأَدْهَى مِنْ قَصِيرٍ، وَأَشْعَرَ مِنْ جَرِيرٍ، وَأَعْذَبَ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ، وَأَطْيَبَ مِنَ العَافِيةِ، لِبِذْلِي وَمُرُوءَتِي، وَإِتْلافِ ذَخِيرَتِي، فَلَمَّا خَفَّ المَتَاعُ، وَانْحَطَّ الشِّرَاعُ وَفَرَغَ الجِرَابُ، تَبَادَرَ القَوْمُ البَابَ، لَمَّا أَحَسُّوا بِالقِصَّةِ، وَصَارَتْ في قُلُوبِهِم غُصَّةً، وَدَعَوْنِي بَرْصَةً، وَانْبَعُثوا

لِلْفِرَارِ كَرَمْيَةِ الشَّرَارِ، وأَخَذَتْهُمُ الضُّجْرَةُ، فَانْسَلُّوا قَطْرَةً قَطْرَةً، وَتَفَرَّقُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَبَقِيتُ عَلى الآجُرَّةِ، قَدْ أَوْرَثُونِي الحَسْرَةَ، وَاشْتَمَلَتْ مِنْهُمْ عَلى العَبْرَةُ لا أُسَاوِي بَعْرَةً، وَحِيداً فَرِيداً كَالْبومِ، المَوسُومِ بَالشُّومِ، أَقَعُ وَأَقُومُ، كَأَنَّ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ لَمْ يَكُنْ، وَنَدِمْتُ حِينَ لَمْ تَنْفَعْنِي النَّدَامَةُ، فَبُدِّلْتُ بِالجَمَالِ وَحْشَةً، وَصَارَتْ بِي طُرْشَةٌ، أَقْبَحُ مِنْ رَهْطَةَ المُنَادِى، كَأَنِّي رَاهِبٌ عِبَادِيٌّ، وَقَدْ ذَهَبَ المَالُ وَبَقِيَ الطَّنْزُ، وَحَصَلَ بِيَدِي ذَنَبُ العَنْزِ، وَحَصَلْتُ في بَيْتِي وَحْدِي مُتَفَتِّتَةً كَبِدِي، لِتَعْسِ جَدِّي، قَدْ قَرَّحَتْ دُمُوعِي خَدِّي، أُعمُرُ مَنْزِلاً دَرَسَتْ طُلُولُهُ، وَعَفَتْ مَعَالِمَهُ سُيُولُهُ، فَأَضْحَى وَأَمْسَى بِرَبْعِهِ الوُحُوش، تَجُولُ وَتَنُوشُ، وَقَدْ ذَهَبَ جَاهِي، وَنَفِدَتْ صِحاحِي، وَقَلَّ مَرَاحِي، وَسَلَحْتُ فِي رَاحِي، وَرَفَضَنِي النُّدَمَاءِ، وَالإِخَوَانُ القُدَمَاءُ، لا يُرْفَعُ لِي رَأْسٌ، وَلا أُعَدُّ مِنَ النَّاسِ، أَوْتَحُ مِنَ بَزِيع الهَرَّاسِ وَرَزِينٍ المَّراسِ، أَتَرَدَّدُ عَلى الشَّطِّ، كَأَنِّي رَاعِي البَطِّ، أَمْشِي وَأَنَا حَافي، وَأَتْبَعُ الفَيَافِي، عَيْنِي سَخِينَةٌ، وَنَفْسِي رَهِينَةٌ، كَأَنِّي مَجْنُونٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ دَيْرٍ، أَوْ عَيْرٌ يَدُورٌ فَي الحَيْرِ، أَشَدُّ حُزْناً مِنَ الخَنْسَاءِ عَلى صَخْرٍ.

وَمِنْ هِنْدٍ عَلى عَمْرو وَقَدْ تَاهَ عَقْلِي، وَتَلاَشَتْ صِحَّتِي، وَفَرَغَتْ صُرَّتي، وَفَرَّ غُلامِي، وَكَثُرَتْ أَحْلامِي، وَجِزْتُ في الوَسْوِاسِ المِقْدَارَ، وَصِرْتُ بِمَنْزِلَةِ العُمّارِ، وَشَيْطانِ الدَّارِ، أَظْهَر بِاللَّيْلِ وَأَخْفَى بِالنَّهَارِ أَشأَمُ مِنْ حَفَّارٍ وَأَثْقَلُ مِنْ كِراء الدْارِ وَأُرَعَنُ مِنْ طَيْطَىءِ القَصَّارِ وَأَحْمَقُ مِنْ دَاوُدَ العَصَّارِ وَقَدْ حَالَفَتْنِي القِلَّةُ وَشَمَلَتْنِي الذِّلَّةُ ، وَخَرَجْتُ مِنَ المِلَّةِ، وَأَبْغَضْتُ فِي اللهِ، وَكُنْتُ أَبَا العَنْبَسِ، فَصِرْتُ أَبَا عَمَلَّسِ. قَدْ ضَلِلْتُ

المَحَجَّةَ، وَصَارَتْ عَلَيَّ الحُجَّةُ، لا أَجِدُ لِي نَاصِراً، وَالإِفْلاسُ عِنْدِي أَرَاهُ حَاضِراً، فَلَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ قَدْ صَعُبَ، وَالزَّمَانَ قَدْ كَلِبَ، التَمَسْتُ الدِّرْهَمَ فَإِذَا هُوَ مَعَ النَّسْرَيْنِ، وَعِنْدَ مُنْقَطِعِ البَحْرَيْنِ، وَأَبْعَدَ مِنْ الفَرْقَدَيْنِ. فَخَرَجْتُ أَسِيحُ كَأَنِّيَ المَسِيحُ، فَجُلْتُ خُرَاسَانَ، وَالخَرابَ مِنْهَا وَالعُمْرَانَ، إِلَى كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ، وَجيلاَنَ إِلَى طُبَرِسْتَانَ وَإِلَى عُمَانَ إِلَى السِّنْدِ، وَالهِنْدِ، وَالنَّوبَةِ، وَالقُبْطِ، وَاليَمَنِ، وَالحِجَازِ، وَمَكَّةَ، وَالطَّائِف، أَجُولُ البَرَارِيَّ وَالْقِفَارِ، وَأَصْطَلِي بِالنَّارِ، وَآوِي مَعَ الحِمَارِ، حَتَّى اسْوَدَّتْ وَجْنَتَايَ، وَتَقَلَّصَتْ خُصْيَتَايَ، فَجَمَعْتُ مِنَ النَّوَادِرِ وَالأَخْبَارِ وَالأَسْمَارِ، وَالفَوَائِدِ وَالآثَارِ، وَأَشْعَارِ الْمُتَطَرِّفِينَ، وَسُخْفِ المُلْهِينَ، وَأَسْمَارِ المُتَيَّمِينَ، وَأَحْكَامِ المُتَفَلْسِفِينَ، وَحِيَلِ المُشَعْوِذِينَ، وَنَوَامِيسِ المُتَمَخْرِقِينَ، وَنَوَادِرِ المُنَادِمِينَ، وَرَزْقِ المُنَجِّمِينَ، وَلُطْفِ المُتَطَبِّبِينَ، وَكِيَادِ المُخَنَّثِينَ، وَدَخْمَسَةِ الجَرَابِذَةِ، وَشَيْطَنَةِ الأَبَالِسَةِ، وَمَا قَصَّرَ عَنْهُ فُتْيَا الشَّعْبِيِّ، وَحِفْظُ الضَّبِيِّ. وَعِلْمُ الكَلْبِيِّ. فَاْسْتَرْفَدْتُ وَاجْتَدَيْتُ، وَتَوَسَّلْتُ وَتَكَدَّيْتُ، وَمَدَحْتُ وَهَاجَيْتُ، حَتَّى كَسَبْتُ ثَرْوَةً مِنَ المَالِ، وَاتَّخَذْتُ مِنْ الصَّفَائحِ الهِنْدِيَّةِ، وَالقُضُبِ اليَمَانِيَّةِ، وَالدُّرُوعِ السَّابِرِيَّةِ. وَالدَّرَقِ التُّبَّتِيَّةِ، وَالرِّمَاحِ الخَطِّيَّةِ، وَالحِرَابِ البَرْبَرِيَّةِ، وَالخَيْلِ العِتَاقِ الجُرْدِيَّةِ، وَالبِغَالِ الأَرْمَنِيَّةِ، وَالحُمُرُ المَرِيسِيَّةِ، وَالدَّيَابِيجِ الرُّومِيَّةِ، وَالْخُزُوزِ السُّوسِيَّةِ، وَأَنْواعِ الطُّرَفِ وَاللُّطُفِ، وَالهَدَايَا وَالتُّحَفِ، مَعَ حُسْنِ الحَالِ، وَكَثْرَةِ المَالِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ وَوَجَدَ القَوْمُ خَبَرِي، وَمَا رُزِقْتُهُ فِي سَفَرِي، سُرُّوا بِمَقْدَمِي، وَصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيَّ، يَشْكُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الوَحْشَةِ لِفَقْدِي، وَمَا نَالَهُمْ لِبُعْدِي، وَشَكَوْا شِدَّةَ الشَّوْقِ، وَرُزْءَ التَّوْقِ وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ مِمَّا

فَعَلَ، وَيُظْهِرُ النَّدَمَ عَلى مَا صَنَعَ، فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ، وَلَمْ أُظْهِرْ لَهُمْ أَثَرَ المَوْجِدَةِ عَلَيهِمْ بِمَا تَقَدَّمَ، فَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ، وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ، وَانْصَرَفُوا عَلى ذَلِكَ، وَعَادُوا إِليَّ فِي اليَوْمِ الثَّانِي، فَحَبَسْتُهُمْ عِنْدِي، وَوَجَّهْتُ وَكِيلي إِلَى السُّوقِ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئَاً تَقَدَّمْتُ بِشِرَائِهِ إِلاَّ أَتَى بِهِ، وَكَانَتْ لَنَا طَبَّاخَةٌ حَاذِقَةٌ؛ فَاتْخَذْتُ عِشْرِينَ لَوْنَاً مِنْ قَلاَيَا مُحْرِقَاتٍ، وَأَلْوَاناً مِنْ طَبَاهِجَاتٍ، وَنَوادِرَ مُعَدَّاتٍ، وَأَكَلْنَا وَانْتَقَلْنَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ، فَأُحْضِرَتْ لَهُمْ زَهْرَاءٌ خَنْدَرِيسِيَّةٌ، وَمُغَنِّيَاتٌ حِسَانٌ مُحْسِنَاتٌ، فَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ وَشَرِبْنَا، فَمَضَى لَنَا أَحْسَنُ يَوْمٍ يَكُونُ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَعْدَدْتُ لَهُمْ بِعَدَدِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ صَنّاً مِنْ صِنَانِ البَاذِنْجَانِ، كُلُّ صَنٍّ بِأَرْبَعَةِ آذَانٍ، واسْتَأْجَرَ غُلاَمِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَمَّالاً، كلُّ حَمَّالٍ بِدِرْهَمينِ، وَعَرَّفَ الحَمالِينَ مَنَازِلَ القَوْمِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالمُوَافَاةِ بِعِشَاءِ الآخِرَةِ، وَتَقَدَّمْتُ إِلى غُلاَمي وَكَانَ دَاهِيَةً أَنْ يَدْفَعَ إِلَى القَوْمِ بِالْمَنِّ وَالرَّطْلِ، وَيَصْرِفَ لَهُمْ، وَأَنَا أُبَخِّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ النَّدَّ وَالعُودَ وَالعَنْبَرَ، فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ إِلاَّ وَهُمْ مِنَ السُّكْرِ أَمْوَاتُ لاَ يَعْقِلُونَ وَوَافَانَا غِلْمَانُهُمْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِدَابَّةٍ أَوْ حِمارٍ أَوْ بَغْلَةٍ، فَعَرَّفْتُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدِي اللَّيْلَةَ بَائِتُونَ، فَانْصَرَفُوا، وَوَجَّهْتُ إِلى بِلاَلٍ المُزَيِّنِ فَأَحْضَرْتُهُ، وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طَعَاماً فَأَكَلَ، وَسَقَيْتُهُ مِنَ الشَّرَابِ القُطْرُ بُلىً، فَشَرِبَ حَتَّى ثَمِلَ، وَجَعَلْتُ فِي فِيهِ دِينَارَيْنِ أَحْمَرَينِ، وَقُلْتُ: شَأْنَكَ وَالقَوْمَ، فَحَلَقَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَ عَشْرَةَ لِحْيَةً، فَصَارَ القَوْمُ جُرْداً مُرْداً، كَأَهْلِ الجَنَّةِ، وَجَعَلْتُ لِحْيَةَ كُلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَصْرُورَةً فِي ثَوْبِهِ، وَمَعَهَا رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: " مَنْ أَضْمَرَ بِصَدِيقِهِ الغَدْرَ وَتَرْكَ الوَفَاءِ، كَانَ هَذَا

مُكَافَأَتَهُ وَالجَزَاءَ ". وَجَعَلْتُهَا فِي جَيْبِهِ، وَشَدَدْنَاهُمْ فِي الصِّنَانِ، وَوَافَى الحَمَّالُونَ عِشَاءَ الآخِرَةِ، فَحَمَلُوهُمْ بِكَرَّةٍ خَاسِرَةٍ، فَحَصَلُوا فِي مَنَازِلِهِمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا رَأَوْا فِي نُفُوسِهِمْ هَمَّاً عَظِيماً، لا يَخْرُجُ مِنْهُمْ تَاجِرٌ إِلَى دُكَّانِهِ، وَلا كَاتِبٌ إِلَى دِيَوَانِهِ، وَلا يَظْهَرُ لإِخْوانِهِ، فَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَوَلِهِمْ، وَمِنْ نِسَاءٍ وَغِلْمَانٍ وَرِجَالٍ يَشْتِمُونَنِي وَيُزَنُّونَنِي، وَيَسْتَحْكِمُونَ اللهَ عَليَّ، وَأَنَا سَاكِتٌ لا أَرُدُّ عَلَيهِمْ جَوَاباً، وَلَمْ أَعْبَأْ بِمَقَالِهِمْ، وَشَاعَ الخَبَرُ بِمَدِينَةِ السَّلامِ بِفُعْلِي مَعَهُمْ، وَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ يَزْدَادُ حَتَّى بَلَغَ الوَزِيرَ القَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ الله. وَذَلِكَ أَنَّهُ طَلَبَ كَاتِباً لَهُ فَافْتَقَدَهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ لا يَقْدِرُ عَلى الخُرُوجِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قِيلَ: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو العَنْبَسِ؛ لأَنَّهُ كَانَ امْتُحِنَ بِعِشْرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ، فَضَحِكَ حَتَّى كَادَ يُبَوِلُ فِي سَرَاوِيلِهِ أَوْ بَالَ، واللهُ أَعْلَمْ. ثُمَّ قَالَ: واللهِ لَقَدْ أَصَابَ وَمَا أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَ، ذَرُوهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِمْ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَقَادَ فَرَساً بِمَرْكَبٍ، وَحَمَلَ إِلَيَّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، لاسْتِحْسَانِهِ فِعْلِي، وَمَكَثْتُ فَي مَنْزِلِي شَهْرَيْنِ أُنْفِقُ وَآكلُ وَأَشْرَبُ، ثُمَّ ظَهَرْتُ بَعْدَ الاسْتِتَارِ، فَصَالَحَنِي بَعْضُهُمْ لِعِلْمِهِ بِمَا صَنَعَ الوَزِيرُ، وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ بِالطَّلاَقِ الثَّلاَثِ وَبِعِتْقِ غِلْمَانِهِ وَجَوَارِيهِ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُنِي مِنْ رَأْسِهِ أَبَداً، فَلا واللهِ العَظِيمِ شَانُهُ، العَلِيِّ بُرْهَانَهُ، مَا اكْتَرَثْتُ بِذَلِكَ، وَلا بَالَيْتُ، وَلا حُكَّ أَصْلُ أُذُنِي، وَلا أَوْجَعَ بَطْنِي، وَلا صَرَّنِي، بَلْ سَرَّنِي، وَإِنَّمَا كانَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقوبَ قَضَاهَا.

وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذا وَنَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ الحَذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ، وَتُتْرَكَ الثِّقَةُ بِالإِخْوانِ الأَنْذَالِ السَّفَلِ، وَبِفُلاَنٍ الوَرَّاقِ النَّمَّامِ الزَّرَّافِ الَّذِي يُنْكِرُ حَقَّ الأُدَبَاءِ، وَيَسْتَخِفُّ بِهِمْ، وَيَسْتَعِيرُ كُتُبَهُمْ لا يَرُدُّهَا عَلَيْهِمْ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلاَنُ.

2- المقامة الخمرية:

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:اتَّفَقَ لي في عُنْفُوَانِ الشَّبِيبَةِ خُلُقٌ سَجِيحٌ، وَرَأْيٌ صَحِيحٌ، فَعَدَّلْتُ مِيزَانَ عَقْلِي، وَعَدَلْتُ بَيْنَ جِدِّي وَهَزْلِي، وَاتَّخَذْتُ إِخْواناً لِلْمِقَةِ، وَآخَرِينَ للنَّفَقَةِ، وَجَعَلْتُ النَّهَارَ لِلنَّاسِ، وَاللَّيْلَ لْلكاَسِ.

قَالَ: واجْتَمَعَ إِلَيَّ فِي بَعْضِ لَيَالِيَّ إِخْوانُ الخَلْوَةِ، ذَوُو المَعَاني الحُلْوَةِ، فَمَا زِلْنَا نَتَعَاطَى نُجُومَ الأَقْدَاحِ، حَتَّى نَفَدَ مَا مَعْنَا مِنْ الرَّاحِ.

قَالَ: واجْتَمَعَ رَأْيُ النَّدْمَانِ، عَلَى فَصْدِ الدِّنَانِ، فَأَسَلْنَا نَفْسَهَا، وَبَقِيَتْ كَالصَّدَفِ بِلا دُرٍّ، أَوْ المِصْرِ بِلا حُرٍّ.

قَالَ: وَلَمَّا مَسَّتْنَا حَالُنَا تِلْكَ دَعَتْنَا دَوَاعِي الشَّطَارَةِ، إِلَى حَانِ الخَمَّارَةِ، وَاللَّيْلُ أَخْضَرُ الدِّيبَاجِ، مُغْتَلِمُ الأَمْواجِ، فَلَمَّا أَخَذْنَا فِي السَّبْحِ، ثَوَّبَ مُنَادِي الصُّبْحِ، فَخَنَسَ شَيْطَانُ الصَّبْوَةِ، وَتَبَادَرْنَا إِلَى الدَّعْوَةِ، وَقُمْنَا وَرَاءَ الإِمَامِ، قِيَامِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، وَحَرَكَاتٍ مَوْزُونَةٍ، فَلِكُلِّ بِضَاعَةٍ وَقْتٌ، وَلِكُلِّ صِنَاعَةٍ سَمْتٌ، وَإِمَامُنَا يَجِدُّ فِي خَفْضِهِ وَرَفْعِهِ، وَيَدْعُونَا بِإِطَالَتِهِ إِلَى صَفْعِهِ، حَتَّى إِذَا رَاجَعَ بَصِيرَتَهُ، وَرَفَعَ بِالسَّلاَمِ عَقِيرَتَهُ، تَرَبَّعَ فِي رُكْنِ مِحْرَابِهِ، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلى أَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ يُطِيلُ إِطْرَاقِهِ، وَيُدِيمُ

اسْتِنْشَاقَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَلَطَ فِي سِيرَتِهِ، وابْتُلِيَ بِقَاذُورَتِهِ، فَلْيَسَعْهُ دِيماسُهُ، دُونَ أَنْ تُنَجِّسَنَا أَنْفَاسَهُ، إِنِّي لأَجِدُ مُنْذُ اليَومِ، رِيحَ أُمِّ الكَبَائِرِ مِنْ بَعْضِ القَوْمِ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ بَاتَ صَرِيعَ الطَاغُوتِ، ثُمَّ ابْتَكَرَ إِلَى هذِهِ البُيُوتِ، الَّتِي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ، وَبِدَابِرِ هَؤُلاءِ أَنْ يُقْطَعْ، وَأَشَارَ إِلَيْنَا، فَتَأَلَّبَتِ الجَمَاعَةُ عَلَيْنَا، حَتَّى مُزِّقَتِ الأَرْدِيَةُ، وَدَمِيَتِ الأَقْفِيَةُ، وَحَتَّى أَقْسَمْنَا لَهُمْ لا عُدْنَا، وَأَفْلَتْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَا كِدْنَا، وَكُلُّنَا مُغْتَفِرٌ لِلْسَلامَةِ، مِثْلَ هَذِهِ الآفَةِ، وَسَأَلْنَا مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الصِّبْيَةِ، عَنْ إِمَامِ تِلْكَ القَرْيَةِ، فَقَالُوا: الرَّجُلُ التَّقِيُّ، أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْنَا: سُبْحَانَ اللهِ! رُبَّمَا أَبْصَرَ عِمِّيتٌ، وَآمَنَ عِفْرِيتٌ، وَالحَمْدُ للهِ لَقَدْ أَسْرَعَ فِي أَوْبَتِهِ، وَلا حَرَمَنَا اللهُ مِثْلَ تَوْبَتِهِ، وَجَعَلَنَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا نَعْجَبُ مِنْ نُسْكِهِ، مَعَ مَا كُنَّا نَعْلَمُ مِنْ فِسْقِهِ.

قَالَ:وَلَمَّا حَشْرَجَ النَّهَارُ أَوْ كَادَ، نَظَرْنَا فَإِذَا بِرَايَاتِ الحَانَاتِ أَمْثَالُ النُّجُومِ، في اللَّيْلِ البَهِيمِ، فَتَهَادَيْنَا بِهَا السَّرَّاءَ، وَتَبَاشَرْنَا بِلَيْلَةٍ غَرَّاءَ، وَوَصَلْنَا إِلَى أَفْخَمِهَا بَاباً، وَأَضْخَمِهَا كِلاباً، وَقَدْ جَعَلْنَا الدِّينَارَ إِمَاماً، وَالاسْتِهْتَارِ لِزَاماً، فَدُفِعْنَا إِلَى ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلٍّ، وَوِشَاحِ مُنْحَلٍّ، إِذَا قَتَلَتْ أَلْحَاظُهَا، أَحْيَتْ أَلْفَاظُهَا، فَأَحْسَنَتْ تَلَقِّينَا، وَأَسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُوسَنَا وَأَيْدِينَا، وَأَسْرَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ العُلُوجِ ، إِلَى حَطِّ الرِّحَالِ وَالسُّرُوجِ، وَسَأَلْنَاهَا عَنْ خَمْرِهَا، فَقَالَتْ:

خَمْــرٌ كَرِيقِــي فِــي العُــذُو *** بَــةِ وَاللَّلــذَاذَةِ وَالحَــلاوَةْ.

تَــذَرُ الحَلِــيمَ وَمَــا عَلَيْــهِ. *** لِحِلْمِــهِ أَدْنَــى طُــلاَوَةْ.

كَأَنَّمَا اعْتَصَرَهَا مِنْ خَدِّي، أَجْدَادُ جَدِّي. وَسَرْبَلُوها مِنَ القَارِ، بِمِثْلِ هَجْرِي وَصَدِّي، وَدِيعَةُ الدُّهُورِ، وَخَبِيئَةُ جَيْبِ السُّرُورِ، وَمَا زَالَتْ تَتَوارَثُهَا الأَخْيَارُ، وَيَأْخِذُ مِنْهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرَجٌ وَشُعَاعٌ،وَوَهْجٌ لَماعُ، رَيْحَانَةُ النَّفْسِ، وَضَرَّةُ الشَّمْسِ، فَتَاةُ البَرْقِ، عَجُوزُ المَلْقِ، كَاللَّهَبِ في العُرُوقِ، وَكَبَرْدِ النَّسِيم فِي الحُلُوقِ، مِصْبَاحُ الفِكْرِ، وَتِرْيَاقُ سَمِّ الدَّهْرِ، بِمِثْلِهَا عُزِّزَ المَيِّتُ فَانْتَشَرَ، وَدُووِيَ الأَكْمَهُ فَأَبْصَرَ، قُلْنَا: هذِهِ الضَّالَّةُ وَأَبِيكِ، فَمنِ المُطْرِبُ فِي نَادِيكِ؟.

وَلَعَلَّهَا تُشَعْشَعُ لِلشَّرْب، بِرِيقِكِ العَذْبِ، قَالَتْ: إِنَّ لِي شَيْخاً ظَرِيفَ الطَّبْعِ، طَرِيفَ المُجُونِ، مَرَّ بِي يَوْمَ الأَحَدِ فِي دَيْرِ المِرْبَدِ، فَسَارَّنِي حَتَّى سَرَّنِي، فَوَقَعَتِ الخُلْطَةُ، وَتَكَرَّرَتِ الغِبْطَةُ، وَذَكَرَ لِي مِنْ وُفُورِ عِرْضِهِ، وَشَرَفِ قَوْمِهِ فِي أَرْضِهِ، مَا عَطَفَ بِهِ وُدّي، وَحَظِيَ بِهِ عِنْدِي، وَسَيَكُونُ لَكُمْ بِهِ أُنْسٌ، وَعَلَيْهِ حِرْصٌ، قَالَ: وَدَعَتْ بِشَيْخِهَا فَإِذَا هُوَ إِسْكَنْدَرِينَا أَبُو الفَتْحِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الفَتْحِ، واللهِ كَأَنَّمَا نَظَرَ إِلَيْكَ، وَنَطَقَ عَنْ لِسَانِكَ الَّذِي يَقُولُ:

كَـــانَ لِـــي فِيمَـــا مَـــضَ *** ى عَقْـــلٌ وَدِيـــنٌ وَاسْـــتِقَامَةْ.

ثُـــمَّ قَـــدْ بِعْنَـــا بِحَمْـــدِ *** اللهِ فِقْهـــــاً بِحِجـــــامَةْ.

وَلَـــئِنْ عِشْنَـــا قَلِـــيلاً *** نَســـــأَلُ اللهَ السَّـــــلاَمَةْ.

قَالَ: فَنَخَرَ نِخْرَةَ المُعْجَبِ، وَصَاحَ وَزَمْهَرَ، وَضَحِكَ حَتَّى قَهْقَهَ. ثُمَّ قَالَ: أَلِمِثْلِي يُقَالُ، أَوْ بِمِثْلِي تُضْرَبُ الأَمْثَالُ ؟؟

دَعْ مِـــنَ اللَّـــوْمِ وَلَكِـــنْ *** أَيُّ دَكَّـــــاكٍ تَـرَانِـــــي.

أَنَـــا مَـــنْ يَعْـرِفُـــهُ كُـــلُّ *** تَهَـــــامٍ وَيَمـانِـــــي.

أَنَـــا مِـــنْ كُـــلِّ غُبـــارٍ *** أَنَـــا مِـــنْ كُـــلِّ مَكَـــانِ.

سَاعَـــــةَ أَلـــزَمُ مِحْـــرَا *** بـــاً، وَأُخْـــرَى بَيْـــتَ حَـــانِ.

وَكَـــذَا يَفـــعَلُ مَـــنْ يَعْقِـــ *** لُ فِـــي هَـــذَا الـزَّمَـــانِ.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَاسْتَعَذْتُ بِاللهِ مِنْ مِثْلِ حَالِهِ، وَعَجِبْتُ لِقُعُودِ الرِّزْقِ عَنْ أَمْثَالِه، وَطِبْنَا مَعَهُ أُسْبُوعَنَا ذَلِكَ، وَرَحَلْنَا عَنْهُ.

3-المقامة المجاعية:

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِبَغْدَادَ عَامَ مَجاعَةٍ فَمِلْتُ إِلى جَماعَةٍ، قَدْ ضَمَّهُمْ سِمْطُ الثُّرَيَّا، أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيًّا، وَفِيهِمْ فَتىً ذُو لَثْغَةٍ بِلِسَانِهِ، وَفَلَجٍ بِأَسْنَانِهِ، فَقَالَ: مَا خَطْبُكَ، قُلْتُ: حَالاَنِ لا يُفْلِحُ صَاحِبُهُما فَقِيرٌ كَدَّهُ الجُوعُ وَغَرِيبٌ لايُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ فَقَالَ الغُلامُ: أَيُّ الثُّلْمَتَينِ نُقَدِّمُ سَدَّها؟ قُلْتُ: الجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغاً! قَالَ: فَمَا تَقولُ فِي رَغيفٍ، عَلى خِوَانٍ نَظيفٍ، وَبَقْلٍ قَطِيف إِلى خَلٍّ ثَقِيفٍ، وَلَوْنٍ لَطِيفٍ، إِلَى خَرْدَلٍ حِرِّيفٍ، وَشِوَاءٍ صَفِيفٍ، إِلَى مِلْحٍ خَفِيفٍ، يُقَدِّمُهُ إِلَيْكَ الآنَ مَنْ لا يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ وَلا يُعَذِّبُكَ بِصَبْرٍ، ثُمَّ يَعُلكَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَقْداحٍ ذَهَبِيةٍ، مِنْ راحٍ عِنَبِيَّةٍ؟ أَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَوْسَاطٌ مَحْشُوَّةٌ، وَأَكْوابٌ مَمْلُوَّةٌ، وَأَنْقَالٌ مُعَدَّدَةٌ، وَفُرُشٌ مُنَضَّدَةٌ، وَأَنْوَارٌ مُجَوَّدَةٌ، وَمُطْرِبٌ مُجِيدٌ، لَهُ مِنَ الغَزَالِ عَيْنٌ وَجِيدٌ؟ فَإِنْ لَمْ تُرِدْ هذَا وَلا ذَاكَ، فَمَا قَوْلُكَ في لَحْمٍ طَرِيٍّ،

وَسَمَكٍ نَهْرِيٍ، وَبَاذِنْجَانٍ مَقْلِيٍ، وَرَاحٍ قُطْرُبُّلِيٍ، وَتُفَّاحٍ جَنِيٍ، وَمَضْجَعٍ وَطِيٍ، عَلَى مَكَانٍ عَلِيٍ، حِذَاءَ نَهْرٍ جَرَّارٍ، وَحَوْضٍ ثَرْثَارٍ، وَجَنَّةٍ ذَاتِ أَنْهَارٍ؟ قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ: أَنَا عَبْدُ الثَّلاَثَةِ، فَقَالَ الغُلاَمُ: وَأَنَا خَادِمُهَا لَوْ كَانَتْ، فَقُلْتُ: لا حَيَّاكَ اللهُ، أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ اليَأْسُ أَمَاتَهَا، ثُمَّ قَبَضْتَ لَهَاتَهَا، فَمنْ أَيِّ الخَرَابَاتِ أَنْتَ؟ فَقالَ:

أَنَـــا مِـــنْ ذَوِي الإِسْكَنْـــدَرِيَّةْ *** مِـــنْ نَبْعَـــةٍ فِيهِـــمْ زِكِـــيَّةْ.

سَـــخُفَ الزَّمَـــانُ وَأَهْلُـــهُ *** فَرَكِبْـتُ مِـنْ سُـخْفِي مَطِيَّـهْ.

4-المقامة البغدادية:

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأُزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيَطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتْصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجِمُعْهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ،

وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً، وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقاً، فَقُلْتُ: افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئَاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيأَكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنيَّاً، فَأَنْخَى الشَّواءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ، فَجَعَلها كَالكَحْلِ سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقْا، ثُمَّ جَلسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوفَيْنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى: زِنْ لأَبي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينج رِطْلَيْنِ فَهْوَ أَجْرَى فِي الحُلْوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لَيِّلي العُمْرِ، يَوْمِيَّ النَّشْرِ، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْو، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبو ◌َزيْدٍ هَنِيَّاً، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ، حَتىَّ اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ، وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا ◌َزيْدٍ حَتَّى نأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهْوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِــلْ لِرِزْقِــكَ كُــلَّ آلــهْ *** لاَ تَقْعُــدَنَّ بِكُــلِّ حَالَــهْ.

وَانْهَــضْ بِكُــلِّ عَظِــيَمةٍ *** فَــالمَرْءُ يَعْجِــزُ لاَ مَحَالَــهْ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- شكر وعرفان
- إهداء
- مقدمـــة.....أ

مدخـــل

1. بديع الزمان الهمذاني.....05
2. الحياة السياسية.....07
3. الحياة الاجتماعية.....10
4. الحياة العقلية.....13

الفصل الأول

المقامة عند بديع الزمان الهمذاني

1. تعريف المقامة.....19
2. مقاماته.....22
3. عدد مقامات الهمذاني.....23
4. موضوعاته.....23
5. أسلوب المقامة عند بديع الزمان الهمذاني.....25

الفصل الثاني

تجليات البعد الاجتماعي في مقامات الهمذاني

6. المقامة الصيمرية.....29
7. المقامة الخمرية.....31

8. المقامة المجاعية.....32

9. المقامة البغدادية.....34

- **خاتمة.....40**
- **قائمة المصادر والمراجع.....42**
- **ملحق.....44**
- **فهرس الموضوعات.....57**